الثابت والمتحوّل في منهج تحقيق الشّعر أثناء رحلته من المشرق إلى الأندلس.

(قراءة في منهج ابن دريد وأبي علي القالي وأبي عبيد البكريّ)

د/مجمد زيوش

أستاذ محاضر (جامعة الشلف)

Ziou_moha@yahoo.fr

شكّل السّمع في الثقافة العربية القديمة أداة تقنية لتقي العلم ونشره، فكان مرجعا أوّليا للعلم، ونزل القرآن وتكفّلت الرّعاية الإلهية بحفظه، وكان الحديث النبويّ الشريف،فكان جمعه مع القرون الأولى لتاريخ الدّولة الإسلامية، التي ازدهرت فيها حركة التأليف، فهيأ الله العلماء لتحقيق الحديث الشريف، وتنشيط حركة الجمع، فوضعوا مؤلفات جامعة في رواية الحديث النبويّ الشريف، واشتغلوا بالجمع والرواية، والتصنيف، والبصر بالأسانيد، وثقة أصحابها، "احتياطاً لدينهم. فكانت قواعدهم التي ساروا عليها أصحَّ القواعد للإثبات التاريخيّ وأعلاها وأدقّها"[1]، فظهرت كتابات الرامهرمزي، والحاكم النيسابوري، وأبي نعيم الأصفهاني، والخطيب البغدادي، والبكري، والقاضي عياض، وغيرهم من علمائنا الأجلاء، الذين تناولوا تنظيرا وتطبيقا شروط الرواية وتقييد السّماع، وأنواعها وأحكامها عند أهل التحصيل والدّراية ، ومعرفة الضبط ، وحال الرواة، وشروطهم، وأصناف الكتب التي تجمع الحديث من الجوامع، والسنن، والمسانيد، والمعاجم، وغيرها.

ولم تكن حركة جمع اللغة والأدب ببعيدة عن هذا التأثير، وبخاصة في مرحلة الرّواية المزدوجة (رواية الأعراب والعلماء) والتي عرفت استمرارا للنقل الشفويّ، وتهيئة تسلط المدوّن، مع تغيّر وسيلة النقل، وحلول الخطّ محلّ السمع، وخضوع الأعراب لسلطة الرواية العلمية، بسبب قيام علماء اللغة والأدب وسائر الفنون النقلية بتقليد منهج جمع الحديث فـ" طبّقوا قواعد هذا العلم عند إرادة التوثيق من صحة النقل في أي شيء يُرجع فيه إلى النقل"[2] حتى أضحى رواة الشّعر" أعقل من رواة الحديث، لأنّ رواة الحديث يروون مصنوعًا كثيرا، ورواة الشّعر ساعة ينشدون المصنوع ينتقدونه، ويقولون: هذا مصنوع" [3]ذيل الأمالي.لأنّ طريقتهم في الإملاء = كما يقول السيوطي" كطريقة المحدثين سواء، يكتب المستملي أول القائمة "مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا"[4] ويذكر التاريخ، ثم يورد المملي بإسناده كلامًا عن العَرَب والفُصحاء، فيه غريب يحتاج إلى التفسير ثم يفسره، ويورد من أشعار العرب وغيرها بأسانيده، ومن الفوائد اللغوية بإسناد وغير إسناد ما يختاره، وقد كان هذا في الصدر

---

[1] ابن كثير، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، تحقيق أحمد محمد شاكر، طبعة دار الكتب العلمية، د.ت، د.ط، بيروت، مقدمة المحقق، ص:6.

[2] المرجع نفسه، ص:6.

[3] أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، ذيل الأمالي والنوادر، دار الكتب العلمية، بيروت،د.ت، ص: 105.

[4] جلالا الدين لسيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998،ج2 ص: 269.

الأول فاشيًا كثيرًا، ثم ماتت الحفاظ وانقطع إملاء اللغة عن دهر مديد، واستمرَّ إملاء الحديث.[1]، وعليه يمكن القول أنّ الرّواية الأدبيّة بمعناها العلميّ الذي عرفه القرن الثاني لم تكن موجودة قبل زمن أبي عمرو بن العلاء وحمّاد الراوية ومن عاصرهما، لذا يجد الباحث في التراث أنّ" هؤلاء هم في الغالب الأعمّ نهاية الإسناد في الرواية الأدبيّة، يأخذها من لا يسأل عمّن أخذها هؤلاء، ولا يجد في انقطاع الإسناد عندهم ما يضعف من هذه الرواية، ومن هنا كان الإسناد في الرّواية الأدبية هو القاعدة العامّة في القرنين الثالث والرابع، يرتفع حتّى يصل إلى هذه الطبقة الأولى من العلماء ثمّ يقف عنها لا يتجاوزها"[2]ولما كان السماع من لفظ الشيخ إملاء، وهو أعلى المراتب كما قال صاحب المزهر:أن يقول: أملى عليَّ فلان، أو أَمَلَّ علي فلان .[3]كانت الأمالي إجازات السماع في مجالس العلم التي يتحلّق فيها طلبة العلم حول شيخهم، فيملي عليهم ما حفظه بإجازة شيوخه، فيسمعون فيكتبون.

وبناء عليه ستحاول هذه الورقة الوقوف على منهج العلماء في جمع الشعر وتحقيقه، في مشرق الأرض ومغربها، وذلك بتتبع منهج أصحاب الأمالي، ونظرا لانبساط البحث، ستقتصر هذه الورقة على ثلاثة أعمال لعلماء أفذاذ في اللّغة والأدب والعلوم الأخرى، فنقف على أمالي ابن دريد (ت 321هـ) ومنهجه في جمع ورواية الشّعر، لنكشف عن خصائص جمع الشعر، وروايته، وتصحيفه، وتصحيحه، وذلك من خلال ما وصلنا من أماليه في كتاب (تعليق أمالي ابن دريد)، ثم ننتقل إلى تلميذه المخضرم في أماليه المعروفة بأمالي القالي(ت 356هـ)، – وهو التلميذ الذي تتلمذ في المشرق وأملا أماليه في الأندلس–، حتى عدّها ابن خلدون إحدى مصادر الأدب الأربعة،[4] لنكشف عن منهجه في ظلّ البيئة الأندلسية، وننتقل بعد ذلك إلى تلميذه أبي عبيد البكري (ت 487 هـ)في تنبيهاته وتصحيحاته لمنهج القالي في رواية الشعر في أماليه، وذلك بتتبع خصائص منهجه في كتابه: التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه.

وعليه ستكون خطة المداخلة كالأتي:

في المبحث الأوّل نتحدث عن خصائص منهج تحقيق الرواية عند ابن دريد، وفي المبحث الثاني عند أبي علي القالي في أماليه، وفي المبحث الثالث سنركّز على خصائص منهج البكري في تصحيح الرّواية عند القالي، لنخلص إلى إقامة موازنة بين هذه المناهج في جمع الشعر وروايته، على أمل كشف التطوّر والتنقيح الذي حدث في منهج جمع الشعر وروايته وتحقيقه عبر الزمان والمكان في ظلّ انتقال الثقافة العربية من الشفهية إلى الكتابة.

منهج ابن دريد في رواية الشّعر:

---

[1] المرجع نفسه، ج2، ص:314.

[2] ناصر الدين الأسد ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ، دار المعارف، مصر ،ط:4، 1969. ص :276.

[3] السيوطي، المزهر، ج1،ص: 145.

[4] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1413 هـ -1993 م، ص:476.

غلبا ما ارتبط اسم ابن دريد باللّغة، غير أنّ جهوده في الرّواية بصفة عامة تعدّ أعظم جهد قدّمه للثقافة العربية الإسلامية، فهو إلى جانب روايته للحديث بالسند، كان يروي الشّعر والأدب كذلك، حتى قيل عنه أنّه:" كان رأس أهل العلم والمقدّم في حفظ اللغة، والأنساب وأشعار العرب، وله شعر كثير"[1]

أمّا نسبه فهو فيما رواه الخطيب البغدادي بسنده عنه قال:"أخبرنا علي بن أبي علي، قال: نبأنا أحمد بن إبراهيم بن الحسن قال: قال لنا ابن دريد:أنا محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن الحسن بن حمامي بن جرو بن واسع بن سلمة بن حاضر بن أسد بن عدي بن عمرو بن مالك بن فهم قبيل بن غانم بن دوس قبيل بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد قبيل ابن الغوث بنت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان"[2] وقد كان لغويا، نحويا، وشاعرا،مشهور بمقصورته، ولد بالبصرة،سنة ثلاث وعشرين ومائتين، ونشأ في عُمان، وتنقّل إلى فارس والبصرة طالبا للعلم، وورد بغداد بعد أن أسنَّ، فأقام فيها إلى آخر عمره، و" من الثابت أنّ ابن دريد لبّى طلب عبد الله بن محمد بن ميكال الذي ولّاه الخليفة المقتدر أبو الفضل جعفر290=320 هـ أعمال كور الأهواز،فلحق به لتأديب ابنه أبي العباس إسماعيل، وهناك قدّم له كتابه العظيم(جمهرة اللغة) سنة 298 هـ، وتقلّد ابن دريد أنذاك ديوان فارس، فكانت كتب (فارس لا تصدر إلاّ عن رأيه، ولا ينفذ أمر إلاّ بعد توقيعه، وقد أقام هناك نحواً من ست سنين)"[3]، أمّا علمه فقد أخذه عن شيوخ كثر متخصصين في علوم مختلفة، ومن بلدان شتى، وقد أحصى الدكتور النبهان في مقدمة كتاب الملاحن، خمسة وعشرين شيخا لابن دريد، أمّا أهمّ شيوخه فهم أربعة:عبد الرحمان بن أخي الأصمعي، وأبو حاتم السجستاني، وأبو الفضل الرياشي، وأبو عثمان الاشناندي.[4]

ولابن دريد عديد المصنفات، بلغت زهاء الثلاثين كتابا، منها: الجمهرة في اللغة، والمجتنى، وكتاب المطر، والمقصورة، والاشتقاق، وكتاب الملاحن وغيرها كثير...أمّا أماليه فقد ضاعت ولم يصل منها إلاّ أقسام مختارة من الجزء الثاني، والخامس، والسادس، والسابع، قام باختيارها أحد تلامذته، وهو أبو مسلم محمد بن أحمد بن علي الكاتب (ت 399 هـ)[5]

---

[1] الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد،دار الكتب العلمية، بيروت،ط2.ج2،ص:195

[2] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت،ج11، ص:176.

[3] كتاب الملاحن لابن دريد، بحث للأستاذ عبد الإله أحمد النبهان،جامعة البعث بحمص، بحث مقدّم إلى مؤتمر المخطوطات الألفية بمكتبة الاسكندرية عام 2004،ص:2.

[4] ينظر: ابن دريد، مقدمة كتاب الملاحن.www .al mostafa.com

[5] ابتسام مرهون الصفار، ابن دريد راوية وأديبا، كتاب ابن دريد الأزدي أعلم الشّعراء وأشعر العلماء، المجلد الثالث، منشورات جامعة آل البيت، 2011،ص:1537.

وهو الرجل الذي قال فيه غير واحد أنّه كان عالم حافظا ملمّا بعلوم العربية، فمثلا قال فيه الخطيب البغدادي فيه"كان رأس أهل العلم والمقدم في حفظ اللغة والأنساب وأشعار العرب"[1] ورويّ عن أبي الحسن أحمد بن يوسف الأزرق أنّه قال"كان أبو بكر واسع الحفظ جدا، ما رأيت أحفظ منه كان دواوين يُقرأُ عليه دواوين العرب كلّها أو أكثرها فيسابق إلى إتمامها ويحفظها، وما رأيته قط قرئ عليه ديوان شاعر إلاّ وهو يسابق إلى روايته لحفظه له"[2] ولعلّ في القصّة التي أوردها هو بنفسه عن قوّة حفظه دليل علىّ صدق وصف العلماء له، حيث طلب منه عمّه الحسين بن دريد – الذي تولى تربيته وتعليمه – لما دخل عليه يوما ومعلمه الأشناندي يروّيه قصيدة الحارث بن حلّزة، فقال له عمّه إذا حفظتها وهبت لك كذا وكذا، ثم انصرف رفقة المعلم ليأكلا الطعام، وحين عاد المعلم إلى ابن دريد وجده قد حفظ الديوان كلّه، فدخل إلى عمه فأعطاه ما كان قد وعده به من مكافأة.[3]

وروي عن هبة الله الحسن الأديب، قال:"قرأت بخط المحسن بن علي أنّ ابن دريد لما توفي حملت جنازته إلى مقبرة الخيزران ليدفن بها، وكان قد جاء في ذلك اليوم طش من مطر، وإذا بجنازة أخرى مع نفر قد أقبلوا بها من ناحية باب الطاق، فنظروا وإذا هي جنازة أبي هاشم الجبائي، فقال النّاس: مات علم اللّغة والكلام بموت ابن دريد والجبائي، فدفنا جميعا في الخيزرانية"[4].

أمّا إذا عدنا إلى منهجه في الرّواية، فإنّا نلفيه قد توفي في بداية العقد الثالث من القرن الرابع الهجري، وهو زمن كان قد استقرّ فيه تقريبا منهج رواية الحديث النبوي الشريف، حيث ظهرت الكتب في منهجية رواية الحديث، ومسائله، وقضاياه، حيث إنّ الصّحاحين قد وُجِدَا قبل ولادة ابن دريد، أي في القرن الثالث الهجري، فالبخاري توفي في 256 هـ، ومسلم في 261هـ، وهذا يبيّن أنّ منهج رواية الحديث كان ناضجا قبل زمن ولادته، زيادة على أنّ ابن دريد استشهد في كتاب الاشتقاق بنحو تسعين حديثا شريفا، وعرض في كتاب المجتبى لأقوال مختارة للرسول صلى الله عليه وسلّم، وهو ما يدفعنا إلى القول أنّ منهج ابن دريد في رواية الحديث قد أثّر في منهج رواية الشّعر عنده، حتّى عُدّ مصدرا أساسيّا اتكأ عليه القالي، وأبو فرج الأصبهاني وغيرهم كثير...

لقد روى ابن دريد أشعارا كثيرة عن شيوخ أسند بعض مروياته لهم إسنادا كاملا فهو مثلا يقول في مقدمة كتابه المجتنى:"وقد ضمنت هذا الكتاب أخبار أشعار سمعتها فعزوتها إلى من سمعها وأشياء قرأتها فيما قرأت من الكتب على أشياخنا رحمهم الله إجازة ومنها سماعا"[5]، ومن كلامه هذا يمكننا أن نتبيّن طرق التّحمل والأداء عنده، هي السماع ثم القراءة على الشيخ.

---

[1] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ،.ج2،ص:195.

[2] تاريخ بغداد، ج2،ص:196.

[3] معجم الأدباء ،18، ص: 102.

[4] تاريخ بغدادج2،ص:197.

[5] أبو الحسن بن دريد الأزدي البصري، كتاب المجتبى، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، 1342 هـ، المقدمة .

السماع: وهو أن يسمع التلميذ ما يلقيه شيخه من مرويات. و لقد كان العلماء القدامى، وعلماء الحديث على وجه الخصوص، معجبين بهذا الطريق، فكانوا يعدونه أرفع درجات أنواع الرواية وبخاصة في ظل الثقافة الشفهية، وغالبا ما يعبّر عنها ابن دريد لفظ أنشدني وأخبرني إفرادا وجمعا كقوله في تعليق الأمالي.

"قال أبو بكر بن دريد :أخبرنا أبو عثمان، عن التوزي عن أبي عبيدة قال :لما كان يوم الجمل، والتقَى الناس، خرج رجل من بني اسدٍ، فلَقِي محمد بن طلحة بن عبيد الله –وكان يسمى السجاد من كثرة سجوده و طُول صلاتِه –فحمل عليه الأَسدِي، فلما غَشِيه قال :حم –وكانت شعار أصحاب علي رضوان الله عليه – فمضى بِطَعنتِهِ ولم يلتفِت إلى قوله، ثم انشأ الأَسدِي يقول:

وأَشعَثَ قوَّام بآياتِ ربِّه**** قليلِ الأَذَى فيما تَرى العينُ مسلم

قال أبو بكر بن دريد :والهيثم بن عدِي، وابن الكَلْبِي يرويان هذه القصيدة للأَشتر، ويزيدان في الخبر."[1]

وما يمكن ملاحظته من خلال قراءة تعليق الأمالي أنّ الإسناد متعاود بذات شكله وهيأته في رواية عدد من الأخبار والأشعار كما يقول محمد زروق:" جدير بالملاحظة أنّ ابن دريد من القلائل صحبة للزبير بن بكار الذين تثبت قنوات نقلهم للأخبار ولا تتغيّر"[2] ويمثّل أبو حاتم السجستاني سندا أساسيا في أغلب روايات الأخبار والأشعار، فقد كان من أساتذة ابن دريد، وكانت له قدرة فائقة على الحفظ، وهو الذي قال فيه ابن النديم في الفهرست:"...كان كثير الرّواية عن أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي، عالما باللغة والشّعر....وكان حسن المعرفة بالعروض،كثير التأليف للكتب في اللغة، يقول الشّعر، صادق الرواية...وعليه اعتمد أبو بكر بن دريد في اللغة"[3]، فهو كثير ما يقول :"اخبرنا أبو بكر بن دريد، قال :أخبرنا أبو حاتم عن الأَصمعي عن يونس قال :جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال :يا رسول الله، والله لقد امسينا ومالنا بعير يئط ولا صبي يصطبح، ثم أَنشده:

اتيناك والعذراء يدمي لبانها**** وقد شغلت أم الصبي عن الطفل

وألقى بكفيه الفتى لاستكانة**** من الجوع ضعفاً ما يمر ولا يحلى

ولا وزر إلا إليك فرارنا ****وأين فرار الناس إلا الرسل

فقام النبي صلى الله عليه يجر رداءه، حتى صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال :اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً، مريئاً غدقًا طبقاً، عجلا غير رائث، نافعا غير ضائر، تنبت به الزرع، وتملا به الضرع، وتحيي به الأرض بعد موتها .فو الله ما رد يده إلى نحره حتى التقت السماء بأودائها وجاء أهل الباطنة يصيحون، يا رسول الله، الغرق الغرق، فرفع يده إلى السماء، فقال :اللهم حوالينا ولا علينا، فانجاب السحاب عن المدّ سنة حتى أحدقا

---

[1] ابن دريد، تعليق من أمالي ابن دريد، www .al mostafa.com ،ص:2.

[2] محمد زروق، ابن دريد راوية، ضمن كتاب ابن دريد الأزدي أعلم الشّعراء وأشعر العلماء، المجلد الثالث، منشورات جامعة آل البيت، 2011، ص:1555.

[3] محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، 1978، ص:86ـ87.

كالأكليل، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، ثم قال: لله أبو طالب، لو كان حيّا قرت عيناه، من ينشدنا قوله؟ فقام علي–رضوان الله عليه –فقال :يا رسول الله،

كأنك أردت:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه**** ثمال اليتامى عصمة للأرامل"[1]

كما نجد سنده الثاني فهو الكلبي عن طريق عمّه، وسنده الثالث هو الأصمعي عن طريق ابن أخ الأصمعي، عن الأصمعي:"عن عبد الرحمن، قالَ :سمعت عمي يقول:..."[2]

أما سنده الرابع هو أبو عبيدة، يقول:"وعن أبي عبيدة، عن يونس قال :قال بلغني عن أبي وجزة انه قال : لقيت النسابة البكري بمنى، فسألته، فاذا هو اعلم الناس، فقلت له :أي الشعراء أغزل؟قال :اصدقهم وجدا، الذي ان سمعت شعره أويت لقائله، أما نفث في سمعك قول حجازيكم، عبد الله بن عجلان الهندي، واستخفه مرة الوجد فهرب، فوقع ببلاد بني فزارة، فقال:

بكى فرثت له اجبال صبح**** واسعدت الجبال بها مروت

حجازي الهوى علق بنجد**** جوى لا يعيش ولا يموت

فتردعه الدبور لها اجيج**** ويسلمه إلى الوجد المبيت"[3]

إنّ ما يمكن إستنتاجه هو أنّ سند رواية الشّعر يبدو قارا عند ابن دريد في أغلبه، إذ إنّه يكاد لا يخرج عن هؤلاء الأربعة كمصدر رواية الشعر في تعليق الأمالي، ولقد مثّل هؤلاء الرواة الثقات مؤسسات علمية في رواية الأشعار والأخبار، فأبو عبيدة مثلا يمثّل أصلا من أصول الرّواية، نقل عنه اللاحقون أشعار وأخبار الجاهليين والإسلاميين، أمّا ابن الكلبي فقد كان عالما بالنسب وأخبار العرب وأيامها، ومثالبها، ووقائعها[4]، وإذا عدنا إلى الأصمعي وجدناه العالم الجليل، والرجل الثقة كما وصفه صاحب كتاب أسماء الثقات.=وخلاصة القول، هو :

إنّ النّمط العلمي ساد الأسانيد عند ابن دريد في نقله للأشعار ، فكانت مصادره في رواية الشّعر ثابتة.

غالبا ما كان ابن دريد يروي الشعر مرفقا بتقديم للشعراء ولأشعارهم، وللمقام الذي أنتجه، كما مرّ بنا أنفا،

غالبا ما ينصرف إلى تفسير وشرح بعض الألفاظ الغامضة الواردة في الشّعر.

منهج القالي في رواية الشّعر:

هو أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون ، ولد بمنازجرد من ديار بكر سنة 288هـ فنشأ بها ورحل إلى العراق لطلب وتحصيل العلم . كان إماما في اللغة وعلوم الأدب ، رحل إلى بغداد وكانت آنذاك مهد العلم ،

---

[1] ابن دريد، تعليق من أمالي ابن دريد، www .al mostafa.com ،ص:15.

[2] المصدر نفسه ،ص:41.

[3] نفسه ،ص:12.

[4] ابن النديم، الفهرست، تحقيق رضا تجدّد، طبعة طهران، ص:108.

فأكب على الدرس وجدّ في التحصيل على علماء الحديث وجهابذة اللغة والرواية ، فسمع الحديث من البغوي والعدوي والسجستاني وأبي بكر المقريء وقرأ النحو والعربية والأدب على ابن درستويه والزجاج والأخفش الصغير ونفطويه وابن دريد وابن السراج وابن الأنباري وابن قتيبة وابن شقير ثم رحل إلى قرطبة وأقام بها، وألّف بها تصانيفه المختلفة، حتى توفي سنة 356هـ ، ومن جملة ما ألف إضافة إلى الأمالي، كتاب المقصور والممدود، وكتاب الإبل ونتاجها وما تصرف معها، وكتاب حلى الإنسان والخيل وشياتها، وكتاب فعلت وأفعلت، وكتاب مقاتل الفرسان، وكتاب تفسير السّبع الطوال، وكتاب البارع في اللّغة، أما إذا عدنا إلى الأمالي فإنّ القالي ألّفها في الأندلس، حيث كان يمّلي على طلبته وعلماء وأدباء جامع قرطبة إملاء من حفظه في زمن الخليفة عبد الرحمان الناصر وابنه الخليفة الحكم، علما أنّ كتاب الأمالي هو هدية القالي إلى الخليفة وابنه الحكم، عرفانا لهما بالفضل والنعمة التي أغدقاه عليه، وهما اللذان استقبلاه –بعد ما استقدماه من بغداد– استقبال العظماء،يقول معرّفا بكتابه:"فأمللت هذا الكتاب من حفظي في الأخمسة بقرطبة، وفي المسجد الجامع بالزهراء المباركة، وأودعته فنوناً من الأخبار، وضروباً من الأشعار، وأنوعاً من الأمثال، وغرائب من اللغات، على إني لم أذكر فيه باباً من اللغة إلا أشبعته، ولا ضرباً من الشعر إلا اخترته، وفناً من الخبر إلا انتخلته، ولا نوعاً من المعاني والمثل إلا استجدته. ثم لم أخله من غريب القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، على أنني أوردت فيه من الإبدال ما لم يورده أحد، وفسرت فيه من الإتباع ما لم يفسره بشر"[1]ومثل هذا الأمر ليس بغريب على رجل قال فيه غير واحد أنّه أحد مثقفي الحضارة الإسلامية.

وقد حوى كتاب الأمالي أخباراً وأشعار لأهل المشرق على الرغم من أنه قد أملي في الأندلس وكأنه أراد أن يعلم الأندلسيين آداب ألمشارقه التي كانوا يهتمون بها ويقف الكتاب من القارئ موقف المعلم فما كاد يرد فيه نص أو مسألة إلا وأتبع المؤلف ذلك بشرح مستفيض ويتعمد أحيانا أن يأتي بالصعب منها وهو ينهج نهج كل من المبرد في الكامل وثعلب في المجالس وليس ذلك بغريب عنه لأنه نشأ وتعلّم في بغداد وهي مدينة هذين العالمين .والكتاب يستهدف الثقافة العامة إلى جانب الثقافة الخاصة ، من خلال ضمه للأخبار والوقائع التاريخية الهامة، زيادة على غزارة المادة اللغوية، وقال القالي في حقّ كتابه :"لما رأيت العلم أنفس بضاعة أعملت نفسي في جمعة، وشغلت ذهني بحفظه حتى حويت خطيرة وأحرزت رفيعة ورويت جليلة وعقلت شاردة ورويت نادرة"[2] وهو كلام يبيّن قدرة وحرص أبي علي القالي على الجمع والاستيعاب لمصادر الثقافة العربية الإسلامية في زمن كانت فيه مصادره المعتمدة هي الرواية الشفوية. وبخاصة عن شيخه ابن دريد حتى حوت ما رُوي بسند ابن دريد ثلث الكتاب، وهو ما جعل أحمد درويش في دراسة له عن ابن دريد يرى أنّ:" المصدر الرّئيسي في هذا اللّون من المؤلّفات دون شكّ، يتمثّل في كتاب الأمالي لأبي عليّ القالي، التّلميذ المباشر لابن دريد، والذي حمل معه كثيرًا

[1] أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي، كتاب الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت،د.ت،ص:3

[2] المصدر نفسه،ص:1.

من علم ابن دريد مدوّنًا في الصّدر أو القراطيس، وأملى على شهود مجلسه أيّام الخميس في مسجد قرطبة كثيرًا من الرّوايات والأخبار المنسوبة لابن دريد، مشفوعة بوفاء التّلميذ واحترامه للأستاذ...وقد مثّلت الأحاديث المنسوبة إلى ابن دريد نحو ثلث كتاب الأمالي، وتردّد اسم ابن دريد في معظم صفحات الكتاب تردّدًا يذكر بشيوع اسم سلفه الخليل بن أحمد على صفحات الكتاب لسيبويه"[1].

ومثلت المختارات الشّعرية جزء غير هيّن من الأمالي، فيها رغب القالي عن شعر الحرب والحماسة إلى الشّعر العاطفي الرقيق، كأشعار جميل بُثينة، وكُثيّر عزّة، وقيس بن ذُريح، وعمر بن أبي ربيعة، وغيرهم من الشعراء الأمويين، فأكثر الشّعر الذي أورده قيل في عصر صدر الإسلام وزمن حكم بني أميّة، ليأتي بعدهما شعر الجاهليين، ثم العباسيين في المرتبة الأخيرة، وممّا لا شك فيه أنّ البيئة الأندلسية لترفها ولينها دفعت بصاحب الأمالي إلى اختيار الشّعر اللّين المشحون بلهيب الحبّ لا الحرب، وهو ما يعجب الطلبة والقاصدين في ظلّ بيئة لينة ومترفة.

أما منهجه في الأمالي فهو منهج علماء الحديث في الاهتمام بالسند، حتى أنّ القالي أورد لنا قول يحي القطان –وهو من علماء الحديث– فيه يفاضل بين رواة الشّعر ورواة الحديث، يقول: "رواة الشّعر أعقل من رواة الحديث، لأنّ رواة الحديث يروون مصنوعًا كثيرا، ورواة الشّعر ساعة ينشدون المصنوع ينتقدونه، ويقولون: هذا مصنوع"[2] . لذا نجد القالي في عزوه رواية الشّعر يستهل الفصل بـ" قرأت على فلان" في كتاب كذا وكذا، وأحيانا يقول"رأيت في كتاب كذا وكذا،" وغالبا ما يقول" حدثني فلان عن فلان" أو" أنشدني فلان عن فلان" بالإفراد والجمع، وأحيانا ينقل الكلام من غير عزو كما في الشرح اللّغوي للكلمات، فيصدرها بـ" قال الأصمعي"، أو "قال اللّحياني"، أو يقول:"حدثني غير واحد من أصحاب أحمد بن يحي ثعلب"

والعلماء الذين روى عنهم القالي فهم: أبو عبد الله نفطويه، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، وابن درستويه، والمطرز غلام ثعلب، والأخفش الصغير علي بن سليمان، وجحظة البرمكي، وابن السَّراج، وأبو عثمان الأشناندي، وأبو بكر التاريخي، وأبو معاذ الخولي، وأبو يعقوب وراق أبي بكر بن دريد، وأبو بكر بن أبي الأزهر مستملي أبي العباس المبرد.

وأما العلماء الذين روى عنهم كثيرا فهما ابن دريد بسنده فمرة عن أبي عثمان التَّوزِي، ومرة عن عمّ ابن دريد عن أبيه، مرة أخرى عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن الأصمعي، وفي أحيان أخر عن أبي حاتم، عن السكن بن سعيد، وأبو بكر بن الأنباري بسنده الذي يكون في الغالب عن أحد العلماء كأحمد بن يحي ثعلب، أو عبد الله بن خلف، أو أب الحسن بن براء، أو أبي الحسن الأسدي، أو أبي عبد الله أحمد البصري، أو أبي الحسن المظفر بن عبد الله...

---

[1] أحمد درويش،ابن دريد الأزدي وتأثيره في الدّرس والنّصّ الأدبيّ، الهيئة العامة للرّياضة والأنشطة الشّبابية، سلطنة عمان،د.ت،ص:129.

[2] أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، ذيل الأمالي والنوادر، دار الكتب العلمية، بيروت،د.ت،ص:105.

زيادة على عزو الأشعار لأصحابها بالسند الصحيح، الذي تمثله طبقة الرواة الثقات، كان يتحرى الرواية، ويذكر الاختلاف بين الرواة في رواية البيت، فيورد القصيدة التي رواها عن شيوخه، عازيا إلى كل واحد منهم روايته التي خالفت أو وافقت رواية الآخر، ويبيّن زيادة راوٍ عن آخر، فيرجح بعقل حصيف ما يقتضي الترجيح، ومن ذلك مثلا تعليقه على قصيدة لكعب ين سعد الغنويّ، يقول:" وقرأت على أبي بكر بن دريد هذه القصيدة في شعر كعب الغنوي" وأملاها علينا أبو الحسن الأخفش، وقال: قُرِئَ لنا على أبي العباس الأحول ومحمد بن يزيد(المبرد) وأحمد بن يحيى (ثعلب) وبعض الناس يروي هذه القصيدة لكعب، وبعضهم يرويها بأسرها لسهم الغنوي، وهو من قومه وليس بأخيه، وبعضهم يروي شيئا منها لسهم.

والمرثيُّ بهذه القصيدة يُكنى أبا المغوار واسمه هرم، وبعضهم يقول اسمه شبيب، ويحتج ببيت في هذه القصيدة.

أقام فَخَلَّى الظَّاعنينَ شبِيبُ.

وهذا البيت مصنوع، والأوّل كأنّه أصح لأنّ رَاوِيه ثقة وهؤلاء لا يختلفون في تقديم الأبيات وتأخيرها، وزيادتها ونقصانها، وفي تغيير الحروف في متن البيت وعجزه وصدره، وأنا ذاكر ما يحضرني في ذلك."[1]

ولإعطاء مصداقية أكثر لصحة روايته، ولإظهار قدرته على استرجاع الذاكرة الحافظة، وبخاصة وقد أخذ منه العمر عتيا زمن أماليه، يسوق أحيانا حين الرواية ما يؤكد صحتها كذكر زمن الرواية ومكانها كقوله:

" أنشدنا أبو عبد الله المعروف بنفطويه يوم الأحد في سوق الثلاثاء على باب الكلوذاني صاحب ديوان الواد لكثيِّرٍ

ألا تِلْكَ عَزَّةُ قَدْ أَصْبَحَتْ **** تُقَلِّبُ للهَجْرِ طَرْفًا غَضِيضًا

...

والبيتان الأولان رواهما أبو بكر بن الأنباري خاصة، وشارك أصحاب أبي العباس في رواية البيتين الآخرين"[2] أو قوله:"حدثنا أبو بكر بن الأنباري قال: أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي (ثعلب) أو قرأ على باب داره، ثم أنشدنا في المسجد الجامع يقرؤُهُ على عبد الله بن المعتز قال: أنشدني بعض أصحابنا عن النضر بن جرير عن الأصمعي"[3].

وما يمكن قوله عن منهج القالي هو أنّ الرجل نقل لنا شواهدا شعرية تمثلت في قصائد كاملة في بعض الأغراض الشّعرية. مع اهتمامه بذكر السلسلة السندية التي روى عنها، واهتمامه بالشرح الوافي للألفاظ، مع ضبطها . وكثيرا ما وقف النقاد على سلبيات القالي في أماليه لما فيه من فوضى في تنظيمه الداخلي أثناء

[1] القالي، الأمالي،ج2،ص: 144.

[2] المصدر نفسه ،ص30. 31.

[3] نفسه، ص:45.

عرض المادة، حيث يجد القارئ نفسه ينتقل من الشّعر إلى شرح لغريب كلام العرب، ثم ينتقل إلى خطبة، وعليه فغياب التسلسل المنطقي راجع إلى طبيعة الأمالي في حدّ ذاتها، لاعتمادها على الذاكرة المعرضة للنسيان والتبدد، زيادة على ارتهان فعل الإملاء إلى اللحظة الزمانية والمكانية، وعليه فغياب التسلسل المنطقي هو ظاهرة عامة امتازت بها كتب الأمالي الجامعة للثقافة العربية.

منهج البكري في تحقيق رواية الشّعر:

هو عبد الله بن أبي مصعب عبد العزيز بن أبي زيد محمد بن أيوب البكريّ، وكنيته أبو عبيد، يرجع نسبه إلى قبيلة بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة[1] ولد بـ شلسطيش، ويجح العلماء ولادته في حوالي 407 هـ، استنادا على ما ذكره الفتح بن خاقان (ت528 هـ) قلائده، حيث قال:"رأيته وأنا غلام فيما أقمر هلالي..."[2] وقد بُلِّغَ الثمانين من عمره، علما أنّه توفي في نفس السنة التي رآه فيها ابن خاقان، أي عام 487هـ.

والتحق بعد ما زال حكم عائلته على والية وشلسطيش بولاية قرطبة، فدرس على أشهر علمائها في ذلك العصر، ثم التحق بعدها بخدمة محمد بن معن أمير المرية، وبعدها ارتحل إلى إشبيلية في كنف المعتمد بن عباد، وظل إلى أن وافته المنية.[3]

درس البكري على يد علماء كبار من أمثال أبي بكر محمد بن هشام المصحفي، وأبي العباس أحمد بن عمر الحذري الدّلائي، وأبي عمر يوسف بن عبد البر النمريّ، وأبي مروان بن حيان، وغيرهم...

وعرف عن عبيد البكريّ بثقافته الواسعة بمعاني الشّعر، والغريب والأنساب، والأخبار، وتصنيف المصادر، " وكانت له شهرة العالم الأديب" و " بلغ من الشّهرة حدّا أن كان ملوك الأندلس يتهادون مصنفاته"[4] فكان" إماما لغويا، إخباريا متفننا"، كما كان مغرما باقتناء الكتب" متقنا لما قيّده، ضابطا لما كتبه، جميل الكتب، مُهتما بها"، وأمّا مصنفاته فهي كثيرة ، بعضها وصلنا وبعضها ذكر في بطون الكتب ولم يصل، ومنها الإحصاء لطبقات الشّعراء، واشتقاق الأسماء، اعلام نبوة نبيّنا محمد عليه السّلام، و التدريب والتهذيب في ضروب أحوال الحروب، أما التي طبعت، فهي: سمط اللآلئ، والتنبيه على أغلاط أبي علي القالي، وفصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ومعجم ما استعجم، والمسالك والممالك، زد على ذلك أنّه كان "فاضلا في معرفة الأدوية المفردة وقوامهان ومنافعها، وأسمائها، ونعوتها، وما يتعلّق بها"، كما تعاطى البكري الشّعر لكنّه قليل، لا يفصح عن شاعرية الشاعر، وتميّزه.

أمّا إذا عدنا إلى منهجه في التحقيق ألفيناه يشكّل بدايات الثقافة الكتابية بخلاف القالي الذي أملى أماليه اعتماد على الذاكرة الحافظة، وشكّل السّمع بالنسبة له في ظل الثقافة الشفاهية أداة تقنية لتقي العلم

---

[1] ينظر:ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس،دار الثقافة، بيروت، 1978، ق2، م1،ص:232.

[2] ابن خاقان، قلائد العقيان، طبعة بولاق،1283هـ، ص:191.

[3] صلاح الدين الصفدي،الوافي بالوفيات،م15، ص:18.

[4] الوافي بالوفيات م15 ص:18،ص:60.

ونشره، فكان أن أدّت الرواية الشفوية دورا رئيسا في نقل التراث من جيل إلى جيل، وظل الاعتداد بها، غير أن الرواية الشفويّة لم تكن بمنأى عن التحريف بالقدر الذي تصوره العلماء القدامى، فقد اكتنف جوانبها الفساد، وكانت عرضة للتغيير والتبديل والخلط والاضطراب، وفي سبيل تصحيح ذلك وتوثيقه في زمن الثقافة الكتابية، حيث التأمل ومعاودة القراءة، وعدم ارتهان المرويات باللحظة الزمانية المكانية، بذل النقاد جهوداً كبيرة، واتخذوا لأنفسهم لتحقيق هذه الغاية جملة من المقاييس المنبثقة من النصوص نفسها، بمعنى أنهم كانوا يستقرئون النصوص، ويستخرجون منها أدلة تثبت خللها أو فساد روايتها، وما تضمنته تلك النصوص من أدلة على صياغتها البديلة الحقيقية، وقد استمدوا تلك المقاييس من علوم اللغة كالنحو والصرف والبلاغة، ومن السياقات المعنوية للنصوص، والأدوات الفنية التي دأب الشعراء على استعمالها في إبداعهم، كطبيعة التعبير، وأنواع الأساليب، والعروض والقوافي، ومن هؤلاء البكري في كتابه: **التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه.فيه ضم مجموعة تنبيهات التقطها البكري من كتابه : (اللآلي في شرح أمالي أبي علي القالي) وأفردها في كتاب ليقدمه إلى المعتمد ابن عباد . وقد طبع قبل طباعة) اللآلي) . وتقع مطبوعته في (117) صفحة . وقد وصلتنا منه نسخة يتيمة وغير كاملة كتبت في القاهرة سنة (662هـ) وتقع في (138) صفحة ، عليها حواش وتملكات عدة ، وكانت في الآخر ملكا للأديب (جرجس بك صفا) وآلت بالبيع إلى المرحوم أحمد تيمور باشا ، وقد سمح بإعارتها لصديقه : الأب أنطون صالحاني اليسوعي ، فكتب مقدمة للكتاب(1921/1/1م) ولم يتمكن من نشره ، فتصدت دار الكتب المصرية لنشره عام (1926) بعناية محمد عبد الجواد الأصمعي . وألحقته في نشرتها بذيل الأمالي والنوادر، واختار الناشر تقسيمه إلى قسمين ، الأول : في تنبيهات أبي عبيد على الجزء الأول من الأمالي ، والآخر : خاص بتنبيهاته على الجزء الثاني ، وأثبت في أول كل مطلب رقم الصفحة وعدد السطر من الطبعة الثانية لكتاب الأمالي (المطبوعة بمطبعة دار الكتب المصرية) ليسهل على القارئ الاهتداء إلى بدء الموضع الذي كتب عليه صاحب (التنبيه من كتاب (الأمالي) . أما الجزء الثالث ، وهو (كتاب النوادر) فلم يتعرض له أبو عبيد في كتابه (التنبيه) بل أفرد له كتابا آخر .واستهله البكريّ بقوله:**"بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد سيدنا وآله وصحبه قال أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري-رحمه الله :-الحمد لله خير ما بدئ به الكلام وختم؛ وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم .هذا كتاب نبهت فيه، على أوهام أبي علي-رحمه الله-في أماليه؛ تنبيه المنصف لا المتعسف ولا المعاند، محتجا على جميع ذلك بالشاهد والدليل؛ فإني رأيت من تولى مثل هذا من الرد على العلماء والإصلاح لأغلاطهم، والتنبيه على أوهامهم؛ لم يعدل في كثير مما رده عليهم، ولا أنصف في جمل مما نسبه إليهم .وأبو علي-رحمه الله-من الحفظ وسعة العلم والنبل، ومن الثقة في الضبط والنقل؛

بالمحل الذي لا يجهل، وبحيث يقصر عنه من الثناء الأحفل؛ ولكن البشر غير معصومين من الزلل، ولا مبرئين من الوهم والخطل؛ والعالم من عدت هفواته، وأحصيت سقطاته"[1].

ويدخل البكري معترك نقد رّواية الشّعر متسلحا بعلوم شتى، منها علم العروض، حيث يوجه نقدا للقالي و يدافع عن الأصمعي على أساس الموسيقى في ما اتهمه به القالي من رواية فاسدة الوزن، إذ نسب إليه إنشاد بيت للأضبط بن قريع مختل الوزن، وهو قوله:

فصِلَنَّ البعيد إنْ وَصَل الحب **** ل وأقْصِ القريبَ إنْ قَطَعَهْ

ويقع ضمن مجموعة من الأبيات، فقال: "هذا الإنشاد الذي نسبه إلى الأصمعي لا يجوز، لأن البيت يكون حينئذ من العروض الخفيف والشعر من المنسرح، والأصمعي لا يجهل هذا"[2]

فالبكريّ بثقافته العروضية ينفي نسبة هذه الرّواية للأصمعي، إذ هو عالم، ومتمكن لا تغيب عنه مثل هذه السقطات، وخبرته بالشعر تمنع وقوعه في مثل هذا الخطأ العروضي، فلا يعقل في نظر البكريّ أن ينشد قصيدة ليس بين أبياتها انسجام موسيقي من غير أن ينبّه طلبته إلى ذلك، وإنّما الخطأ وقع من القالي بسبب عدم تحريه في الرّواية وتدقيقه فيما ينقل من شعر. ومن هذا أمثلة كثيرة في التنبيه، فيها تتبع البكريّ أوهام القالي فيما رواه من شعر مختل الوزن، أو ذاك الشّعر الذي لحقه عيب في القافية، فاستبعد صحّة روايته، وفضّل عليه روايات أخرى خالية من عيوب القافية، مثال ذلك ما فعله في رواية القالي لبيت البعيث:

على حين ضم الليل من كل جانب****جناحيه وانصب النجوم الخواضع

فأبدل هذه الرواية بقوله: "وهذا البيت أيضاً على غير وجهه، وإنما هو (وانقض النجوم الطوالع)، لأن الخواضع منصبة، فكيف يستقيم أن يقول: وانصب النجم المنصب... وأيضاً فإن البيت الذي يلي هذا البيت قوله:

بكى صاحبي من حاجة عرضت****له وهن بأعلى سدير خواضع

فلو كان الذي قبله ما أنشده أبو علي لكان هذا من الإيطاء"[3]

كما تعرض البكري إلى فساد رواية القالي في أبيات، حجته في ذلك تغيّر الرويّ في نفس القصيدة، مثال ذلك إنشاد القالي لبيت سوار:

" ونحن حفزنا الحوزقان بطعنة****سقته نجيعا من دم الجوف أحمرا

وهما من أبي علي القالي، وصوابه:(سقته نجيعا من دم الجوف أشكلا) وحجته هنا هي أنّ بعد هذا البيت بيتين من روي مختلف عن الرّوي الذي أورده القالي في البيت الأول، إذ هما على اللام، ولا يعقل أن يكون الشاعر قد ساقهما على رويّ الراء[4] ومثل هذه الوقفات كثيرة في التنبيه، وإذا

---

[1] أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، كتاب التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه، دار الكتب العلمية، بيروت،د.ت،ص: 15.

[2] المصدر نفسه، ص:43. 44.

[3] أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، سمط اللآلئ لأبي عبيد البكري، 1: 470

[4] أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، كتاب التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه،، ص:37.

عدنا على سند الرواية وجدناه يتحرّاه تحرّ جيّد، فالثقافة الكتابية في زمنه كانت تسمح بمثل هذا التحرّي، فمثل في عزوه الشّعر إلى أصحابه، يصوّب للقالي بعد ان يبيّن الخطأ، ويذكر سند الرواية الصحيحة،كما في هذا المثال:"وذكر أبو علي- رحمه الله -خطبة عبد الملك وإنشاده شعر قيس ابن رفاعة:

من يص نَاري بلا ذَنْبٍ ولا تِرةٍ**** يصلَ بنارِ كريمٍ غيرِ غدّارِ

إنما هو أبو قيس بن أبي رفاعة، واسمه :دثار .وقد ذكره أبو علي- رحمه الله -بعد هذا في كتابه على صحته .وذلك في الحديث الذي رواه التوزي عن أبي عبيدة قال :كان أبو قيس ابن أبي رفاعة..."[1]

كما نراه في المثال التالي يعزو الشّعر إلى صاحبه، ذاكرا مناسبته، والظروف المنتج له، يقول:

"وأنشد أبو علي- رحمه الله -للعباس بن الوليد بن عبد الملك أبياتا قالها لمسلمة بن عبد الملك، أولها:

أَلاَ تَقْنَى الحياء أبا سعِيدٍ **** وتُقْصِر عنم لاَحاتِي وعذْلِي

وهذا الشعر لعبد الرحمن بن الحكم يعاتب به مروان بن الحكم أخاه بلا اختلاف؛ ولم يكن العباس بن الوليد شاعراً، إنما كان رجلاً بئيسا، وهو فارس بني مروان؛ وإنما كتب العباس ذا الشعر متمثلا لم يغير منه إلا الكنية .وعبد الرحمن بن الحكم شاعر متقدم، وهو الذي كان يهاجي عبد الرحمن بن حسان- رضي الله عنهما - وفي هذه الأبيات:

كقولِ المرء عمرٍو في الَقوافِي **** لِقَيسٍ حين خالف كلَّ عذلِ

عذِيرك مِن خليلك من مراد **** أُريد حِباءه فيريد قَتْلِي

وهذا مما أهمله أبو علي ولم يفسر معناه والمراد به؛ وكثيرا ما يشغله تفسير ظاهر اللغة عن تفسير غامض المعاني."[2]

زيادة على ذلك نبّه البكري على الأخطاء التي وقع فيها القالي في روايته للشّعر، مثال ذلك قوله:

"وأنشد أبو علي-رحمه الله-شاهداً على أن الحنة الزوجة:

ما أنتِ بالحنّة الودود ولا ****عِنْدكِ خَير يرجى لِمُلْتَمِسِ

إنما هو :ما أنت بالحنة الولود؛ قال أبو عبيدة :تزوج قتادة اليشكري أرنب الحنفية فلم تلد له ونشزت عليه فطلقها وقال:

تجهزِي للطلاق واصطبري**** ذاك دواء الجوامسِ الشُّمسِ

ما أنتِ بالحنَّةِ الولُودِ ولا **** عِندكِ خير يرجى لِلْتَمِسِ

لَليلتِي حين بِتِّ طالقةً **** ألذُّ عندي من ليلة العرسِ"[3]

---

[1] المصدر نفسه، ص:22

[2] نفسه ، ص:23.

[3] نفسه، ص: 24.

وإلى جانب هذا اتخذ البكري القواعد النّحوية معيارا لفحص صحة الرواية، على الرغم من الجدل والنقاش الدائر حولها وقتئذ، فمثل نجده يرفض إنشاد أبي علي القالي لقول الشّاعر:

إذا انبطحت جافى عن الأرض بطنُها****وخَوَّأَهَا رَابٍ كَهَامَةِ جُنْبُلِ

فيعلّق على هذه الرواية بقوله: "هكذا أنشده أبو علي رحمه الله (وخوأها)، وإنما هو (وخوى بها)، لأن خوى لا أصل له في الهمزة وهو مع ذلك لا يتعدى إلا بالباء، يقال: خوى البعير تخوية إذا برك ثم مكن لثفناته في الأرض، ولا يقال: خوّيته أنا، ويقال: خوّى به، كما تقول: ذهب، وذهب لا يتعدى"[1]

وما يمكن استنتاجه هو أنّ مع البكري لم تعد رواية الشّعر مقتصرة على السّماع بالسند الصحيح فقط، بل تعدى منهجه حدود الثقافة الشفهية إلى ما تتطلبه ثقافة الكتابة، من تأمل واطلاع على الروايات المختلفة بروية، واستغلال العلوم المختلفة من أجل توثيق رواية الشّعر.

.....

[1] نفسه، ص: 89.